

مسارات التطور التاريخي للعلاقات بين تشاد ومصر خلال الفترة 1020-1430 هـ (1600-2010 م)

The historical development trajectories of relations between Chad and Egypt during the period 1020-1430 AH (1600-2010 AD)

د. مكن عبدالله يوسف: دكتور في التاريخ والحضارة، قسم التاريخ، جامعة آدم بركة بابشة - تشاد

Dr. Makin Abdoulaye Youssouf: PhD in History and Civilization, Department of History, Adam Barka University of Abéché – Chad

Email: Ousmanehassane5450@gmail.com

Doi: <https://doi.org/10.56989/xmx8f294>

المستخلص:

تناولت هذه الدراسة التطور التاريخي للعلاقات التشادية-المصرية خلال الفترة الممتدة من 1020هـ إلى 1430هـ (1600م-2010م)، وهي فترة زمنية تتجاوز أربعة قرون شهدت خلالها هذه العلاقات ترسخًا ملحوظًا وتنوعًا في مجالاتها، لا سيما السياسية والاقتصادية، إلى جانب الجوانب العلمية والاجتماعية، وترجع جذور هذه العلاقات إلى مراحل مبكرة من انتشار الدعوة الإسلامية في القارة الإفريقية، حيث شهدت تطورًا وازدهارًا مع قيام الممالك الإسلامية في إقليم السودان الأوسط (تشاد)، وعلى رأسها ممالك كانم-برنو وبقرمي ووداي، التي تميزت الأخيرة منها بعلاقات وثيقة مع مصر، خاصة في المجالين التجاري والثقافي، من خلال حضورها العلمي في الأزهر الشريف عبر "رواق صليح"، وإسهام علمائها في نشر الإسلام وتعزيز اللغة العربية وترسيخ الوعي الديني في مجتمعاتهم، ومع دخول الاستعمار الفرنسي إلى تشاد سعت السياسات الاستعمارية إلى فصل البلاد عن امتداداتها الإسلامية والثقافية وفرض سياسة الفرنسة، مما أدى إلى تراجع العلاقات التشادية-المصرية وانقطاع الصلات الرسمية، غير أن الروابط لم تنقطع بشكل كامل، إذ استمرت عبر العلاقات الفردية، ولا سيما من خلال طلاب العلم، بما أسهم في الحفاظ على قدر من التواصل الديني والعلمي بين البلدين.

الكلمات المفتاحية: العلاقات التشادية-المصرية، الممالك الإسلامية، سلطنة وداي، الأزهر الشريف، سياسة الفرنسة، الأثر الاستعماري، التبادل الثقافي

Abstract:

This study addressed the historical development of Chad–Egypt relations during the period from 1020 AH to 1430 AH (1600 CE–2010 CE), a span of more than four centuries in which these relations witnessed notable consolidation and diversification across various fields, particularly political and economic aspects, in addition to scientific and social dimensions. The roots of these relations go back to the early stages of the spread of Islam in the African continent, where they developed and flourished with the rise of Islamic kingdoms in the Central Sudan region (Chad), most notably the kingdoms of Kanem–Bornu, Baguirmi, and Wadai. The latter was distinguished by close relations with Egypt, especially in commercial and cultural spheres, through its scholarly presence at Al-Azhar University via the “*Riwaq of Salih*,” and the contribution of its scholars to the spread of Islam, the promotion of the Arabic language, and the reinforcement of religious awareness in their societies. With the arrival of French colonialism in Chad, colonial policies sought to separate the country from its Islamic and cultural extensions and imposed a policy of Francization, which led to a decline in Chad–Egypt relations and the disruption of official ties. Nevertheless, these connections were not completely severed, as they continued through individual relations, particularly via students of knowledge, thereby maintaining a degree of religious and scholarly communication between the two countries.

Keywords: Chadian–Egyptian relations, Islamic kingdoms, Wadai Sultanate, Al-Azhar, Francization policy, colonial impact, cultural exchange

المقدمة:

تُعد العلاقات الدولية ذات الجذور التاريخية الممتدة من أبرز الموضوعات التي تستقطب اهتمام الباحثين في مجالات التاريخ والعلوم السياسية، لما تعكسه من تفاعلات حضارية وثقافية عميقة بين الشعوب، ولما تؤديه من دور في تشكيل الهويات المشتركة وتوجيه مسارات التواصل الإقليمي. وفي هذا الإطار، تمثل العلاقات التشادية-المصرية نموذجاً فريداً لعلاقات عابرة للحدود الجغرافية، تشكلت في سياق التفاعل بين وادي النيل وإقليم السودان الأوسط، وامتدت عبر قرون طويلة تأثرت خلالها بجملة من العوامل الدينية والسياسية والاقتصادية.

فقد ارتبطت هذه العلاقات منذ مراحل مبكرة بانتشار الإسلام في القارة الإفريقية، حيث أسهمت الحركة العلمية والدعوية، إلى جانب النشاط التجاري، في تعزيز الروابط بين مصر وتشاد، خاصة في ظل قيام الممالك الإسلامية التي اتخذت من الإسلام إطاراً جامعاً لتنظيم شؤونها الداخلية والخارجية. كما لعب الأزهر الشريف دوراً محورياً في هذا السياق، بوصفه مركزاً علمياً جذب طلاب العلم من تشاد، وأسهم في نقل المعارف الدينية واللغوية إلى مجتمعاتهم، مما عزز من عمق التفاعل الثقافي والديني بين البلدين.

ومع التحولات السياسية الكبرى التي شهدتها المنطقة، لا سيما خلال الحقبة الاستعمارية، تعرضت هذه العلاقات لتحديات عميقة، حيث سعت القوى الاستعمارية، وبخاصة فرنسا، إلى إعادة تشكيل البنية الثقافية والسياسية في تشاد، من خلال فرض سياسات الفرنسة وتقليص الامتدادات الإسلامية والعربية. وقد انعكس ذلك سلباً على طبيعة العلاقات التشادية-المصرية، التي شهدت مراحل من التراجع والانقطاع الرسمي، رغم استمرار بعض أشكال التواصل غير الرسمي، خاصة عبر الروابط العلمية والدينية.

وفي ضوء ما سبق، تأتي هذه الدراسة لتتناول مسارات التطور التاريخي للعلاقات التشادية-المصرية خلال الفترة الممتدة من 1020هـ إلى 1430هـ (1600م-2010م)، من خلال تحليل العوامل المؤثرة فيها، واستكشاف طبيعة التحولات التي طرأت عليها عبر المراحل المختلفة، بما يسهم في تقديم فهم أعمق لهذه العلاقات ضمن سياقها التاريخي والحضاري.

مشكلة الدراسة:

تتمثل مشكلة الدراسة في تحليل طبيعة تطور العلاقات التشادية-المصرية عبر فترة زمنية طويلة اتسمت بتغيرات سياسية وثقافية عميقة، وما ترتب على ذلك من تحول في أنماط التفاعل بين الطرفين. وتسعى الدراسة للإجابة عن السؤال الرئيس الآتي:

كيف تطورت العلاقات التشادية-المصرية خلال الفترة (1600-2010م)، وما العوامل التي أسهمت في ازدهارها أو تراجعها عبر المراحل التاريخية المختلفة؟

منهج الدراسة:

تعتمد هذه الدراسة على:

- المنهج التاريخي: لتتبع التطور الزمني للعلاقات وتحليل سياقاتها المختلفة.
- المنهج الوصفي التحليلي: لوصف طبيعة العلاقات ومجالاتها وتحليل العوامل المؤثرة فيها.
- المنهج الاستقرائي: لاستخلاص النتائج العامة من خلال دراسة الوقائع التاريخية الجزئية.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى:

- تتبع المسار التاريخي للعلاقات التشادية-المصرية خلال الفترة المحددة.
- تحليل العوامل السياسية والاقتصادية والدينية المؤثرة في هذه العلاقات.
- إبراز دور المؤسسات العلمية، وعلى رأسها الأزهر الشريف، في تعزيز الروابط بين البلدين.
- دراسة أثر الاستعمار، خاصة الفرنسي، في إضعاف هذه العلاقات.
- الوقوف على التحولات التي طرأت على هذه العلاقات في العصر الحديث.

أهمية الدراسة:

تتبع أهمية هذه الدراسة من:

- إسهامها في إثراء حقل الدراسات التاريخية للعلاقات العربية-الإفريقية.
- إبراز نموذج تاريخي لعلاقات قائمة على التفاعل الحضاري والديني.
- تسليط الضوء على دور المؤسسات العلمية في بناء الروابط بين الشعوب.
- تحليل أثر العوامل الاستعمارية في إعادة تشكيل العلاقات الدولية.
- توفير مرجعية علمية يمكن البناء عليها في الدراسات المستقبلية ذات الصلة

أولاً: العلاقات السياسية بين مملكة وداي ومصر:

من خلال مصر، ارتبطت سلطنة وداي بالدول الإسلامية الأخرى، وفي مقدمتها الدولة العثمانية التي كانت تسيطر على مساحات واسعة من العالم الإسلامي. وفي هذا الإطار يذكر

الطيب عوام أن لوداي علاقات وثيقة مع الباب العالي في إسطنبول عبر القاهرة¹. كما اضطلعت مصر بدور سياسي مهم في تفاعلها مع ممالك وسط إفريقيا، إذ أسهمت بصورة ملحوظة في تعزيز العلاقات مع السلطنات الإسلامية في السودان الشرقي والأوسط والغربي².

وقد اتسمت العلاقة بين السلطان صابون وحاكم مصر بالود والتقارب؛ إذ يذكر التونسي في هذا الصدد أنه لما كانت مصر أقرب إلى أوجلة من طرابلس، وصلت إليها القوافل، وتوجه بعضها إلى بنغازي لقربها أيضاً، فبلغ السلطان صابون خبر قافلة متجهة إلى مصر، وأن بها حاكماً يتصف بالعدل والمكانة، فبعث إليه بهدية ورسالة يطلب فيها توثيق أوامر المودة، فردّ عليه عمر عسكر باشا، والد الحاكم، بهدية إلى السلطان صابون، وأرسلها مع القاوش ونفرين من أتباعه، مرفقة بكتاب يعكس ما طلبه صابون³.

أما على الصعيد العسكري، فقد تمثلت أبرز آثاره في امتلاك الأسلحة النارية التي كان يجلبها التجار العرب والأمازيغ إلى المملكة، حيث ساعد امتلاك السلطان صابون لهذه الأسلحة في تثبيت حكمه والتغلب على خصومه من الممالك الأخرى. وكانت الذخائر تصل إليه عبر شبكات التجارة، غالباً من مصر والمغرب والحجاز وليبيا وتركيا⁴.

نظام الحكم في وداي:

ينتقل عرش وداي إلى الابن الأكبر الناتج عن زواج شرعي، أو إلى أقرب الأقربين من أفراد الأسرة الحاكمة ممن تجري في عروقهم الدماء الملكية. أما أبناء السلطان الذين وُلدوا من أمهات مستعبدات "إنرميل"، أو من نساء ينتمين إلى قبائل خضعت بالقوة، فلا يحق لهم اعتلاء العرش. ويُعد أبو سنون "كدي"، وأولاد جمعة، والملنقا، والمادبا، والمادلا، والكوندونقو، من الأصول القبلية الرئيسة في وداي.

¹ - العوام، الطيب علي محمد. (2001). العلاقات بين العلماء والسلطين في مملكة وداي (بحث دبلوم الدراسات المعمقة في التاريخ والحضارة). جامعة الملك فيصل، إنجمينا، تشاد. ص 12.

² - الغنيمي، عبد الفتاح مقلد. (1996). الإسلام وحضارته في وسط إفريقيا (سلطنة البولالا). القاهرة: مكتبة المدبولي. ص 101.

³ - التونسي، محمد بن عمر. (2001). رحلة إلى وداي (تحقيق: عبد الباقي محمد). شركة مناكب للنشر. ص 256.

⁴ - ناخيتغال، غوستاف. (2005). رحلة إلى وداي ودارفور (تعريب: سيد علي محمد ديدان). المكتبة العسكرية. ص 208.

ويُشترط في السلطان أن يكون سليم البدن والحواس، وألا يكون مصاباً بمرض عضوي ظاهر، في حين لا يُشترط أن يكون ملماً بالقراءة والكتابة، وإن كان الإمام بهما يُعزز من مكانته ويزيد من هيئته¹.

وقد أدى الوجود المصري في السودان الشرقي وسيطرته على المنطقة إلى تطلع مصر نحو التوسع غرباً باتجاه مملكة دارفور، وبعد إخضاعها، اتجهت الأنظار المصرية نحو مملكة وداي، مستفيدة من حالة التنازع والاختلاف بين القوى المحلية².

ويبدو أن اهتمام الحكومة المصرية بالتوجه غرباً لم يتبلور إلا عام 1820م، عندما سعى إسماعيل باشا إلى تتبع تحركات المماليك عقب استفزازهم في شندي. ورغم محاولات ملك الحلفاية تحريضهم على الصمود ومواجهة إسماعيل، فإنهم أعلنوا عجزهم عن ذلك، فانقسموا إلى مجموعتين؛ اتجهت إحدهما نحو البحر الأحمر وربما الحجاز، بينما سارت المجموعة الأكبر، بقيادة عبد الرحمن بك المنفوخ، نحو كردفان، حيث طلبت اللجوء السياسي من المقدم مسلم وسلطان دارفور، الذي أذن لهم بالإقامة. غير أنه وردت رسالة بتاريخ 8 يوليو 1821م من الدفتردار التابع لمحمد علي باشا، تفيد بأن الأمراء المقيمين في كردفان قد تواصلوا مع السلطان محمد الفضل، طالبين دعمه للمقدم مسلم لمواجهة الجيش القادم، كما أشارت الرسالة إلى عودة مجموعة من المماليك بقيادة خازن المنفوخ بك من كردفان إلى دنقلا³.

ويبدو أن الزبير باشا فضل في البداية فتح وداي سلمياً، إذ عرض على السلطان قبول السيادة الخديوية على بلاده. إلا أن تباطؤ السلطان علي في الرد دفع الزبير إلى التوغل بجيشه داخل أراضي وداي حتى اقترب من عاصمتها أبشي. ويُرجح أن السلطان علي قد خشي زوال سلطانه، خاصة في ظل ما حدث سابقاً بين الزبير باشا وسلطان دارفور محمد حسين في منواشي عام 1874م، مما دفعه إلى مراسلة الزبير معلناً قبوله بالخضوع للحكومة الخديوية، مع التعهد بدفع الجزية السنوية، كما أرسل أحد وزرائه محملاً بالهدايا للتفاوض والتوصل إلى صيغة تجنب الطرفين المواجهة العسكرية⁴.

غير أن الزبير باشا عاد دون اتخاذ أي إجراء عسكري تجاه سلطنة وداي، وذلك استجابة لاستدعاء عاجل من الحكمدار إسماعيل أيوب، الذي تلقى أوامر من مصر بضرورة عودة الزبير

1 - المرجع السابق، ص208

2 - محمد النور، أحمد سمي جدو. (1997). تاريخ العلاقات السودانية التشادية (1820-1956م) (بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في التاريخ، جامعة الخرطوم، الخرطوم). ص71.

3 - المرجع السابق، ص72.

4 - المرجع السابق، ص73.

فوراً. وقد تبين لاحقاً أن هذا القرار جاء نتيجة شكوى رفعها سلطان وداي إلى الخديوي، الذي أمر بوقف الحملة. وبذلك ضاعت فرصة إخضاع وداي، التي كانت في السابق بعيدة نسبياً عن النفوذ الخديوي بسبب الحواجز الجغرافية والسياسية التي تمثلت في سلطنات الغرب، غير أن إخضاع دارفور غير المعادلة، وفتح المجال للتفكير في التوسع نحو وداي وربما إلى ما هو أبعد غرباً. ويُرجح أن سلطان وداي أدرك هذه المخاطر، فسعى إلى مهادنة الزبير بقبول شروطه ظاهرياً، في حين بادر بإرسال وزيره أحمد تنقه إلى مصر عبر واحة سيوة لتقديم شكوى رسمية، وهو ما أدى في النهاية إلى صدور أمر بعودة الزبير¹.

ثانياً: العلاقات الاقتصادية بين مملكة وداي ومصر :

في أواسط القرن السابع عشر، أسهم الإسلام في توحيد القبائل الوداوية وجمعها تحت راية واحدة، مما عزز من تماسك الكيان السياسي للمملكة، وأدى إلى تطور العلاقات التجارية تدريجياً بينها وبين مصر، في ظل إطار ديني وثقافي مشترك أسهم في تنشيط التبادل والتواصل بين الجانبين².

وكانت مملكة وداي تحتل موقعاً استراتيجياً مهماً على طرق التجارة، إذ كانت تشكل محطة رئيسة للقوافل القادمة من غرب إفريقيا والمتجهة إلى الحجاز لأداء فريضة الحج. ونظراً لغياب وسائل النقل السريعة آنذاك، كان الحجيج القادمون من مالي ونيجيريا والسنغال والنيجر يقيمون لفترات في دار وداي للتزوّد والاستعداد لمواصلة رحلتهم الطويلة. وفي هذا السياق، يذكر الدكتور محمد صالح أيوب أن العلاقات مع مصر كانت تتم عبر القوافل التي تمر من وداي مروراً بأوجلة³.

لم يكن السلطان في وداي بمنأى عن الانخراط في النشاط التجاري، على غرار ما كان معمولاً به في برنو، إذ كان يشارك في بعض الصفقات التجارية من خلال إرسال قوافل إلى مصر عبر الطريق الصحراوي مروراً بكردفان أو جالو، وذلك بمعدل أربع مرات سنوياً. وكان يصدر العاج، ولا سيما عاج كوتي الذي كان يحتكر تجارته، إلى جانب كميات محدودة من ريش النعام. وقد تميزت طرق التجارة بالأمن والاستقرار، كما لم تكن هناك صعوبات في توفير وسائل النقل، حيث كان عرب المحاميد وغيرهم من رعاة الإبل يمدّونه بما يحتاجه من ركائب، فضلاً عن مرافقة

1 - المرجع السابق، ص74.

2 - ناختيغال، مرجع سابق، ص51.

3 - أيوب، محمد صالح، (1994). الدور الاجتماعي والسياسي للشيخ عبد الحق السنوسي الترجمي في دار وداي 1853-1917م (أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة أم درمان الإسلامية). ص 113.

بعض رؤوسيه لهذه القوافل. ونظراً لأن هؤلاء المرافقين كانوا من أصحاب القرار، فإن تنظيم القوافل لم يكن يكلف السلطان سوى نفقات محدودة.

ولم تكن وداي تضاوي في ثرائها كلاً من برنو أو دارفور، غير أن السلطان كان يعتمد في نفقاته الخاصة على عائدات تجارته، التي كانت تدرّ عليه ما يقارب خمسين ألف دولار ماريا تريزا كل ثلاث سنوات¹.

وقد بلغ الازدهار الاقتصادي ذروته في عهد السلطان صابون، حيث عمل على توسيع شبكة العلاقات والروابط التجارية مع الدول المجاورة والممالك القائمة آنذاك، مثل مملكة كانم، ومملكة باقرمي، ودارفور، وسنار، إلى جانب مصر وغيرها².

وسعى السلطان صابون إلى تعزيز علاقاته مع مصر، من خلال تنشيط الحركة التجارية، حيث عمل على إرسال القوافل وتشجيع التجار وتحفيزهم على التوجه نحو فزان ثم إلى مصر. وفي هذا السياق، يذكر محمد بن عمر التونسي: (إن السلطان صابون جهّز قافلة عظيمة خرج فيها المرحوم السيد أحمد الفاسي، ومعه من الأموال ما لا يُحصى، وأمرهم بالتوجه إلى مصر عن طريق أوجلة)³.

وقد سافر الشيخ محمد بن عمر التونسي من القاهرة إلى أواسط إفريقيا برفقة قوافل تجارية، مما مكّنه من تقديم وصف دقيق لتلك الرحلات، وهو ما يشهد له به الباحثون الذين درسوا أعماله. فقد تناول وصف القوافل التجارية من القاهرة إلى دارفور، مبيناً طبيعة قيادتها، وأنواع الزاد اللازم لها، والبضائع التي تحملها، والمسالك التي تسلكها، ولا سيما طريق الأربعين، إضافة إلى آبار المياه التي تعتمد عليها القوافل. كما وصف شبكة الطرق التجارية التي تربط وداي (تشاد) بالعالم العربي الإسلامي، خاصة الطرق المتجهة شرقاً نحو البحر الأحمر والسودان، والطرق المؤدية إلى مصر عبر درب الأربعين مروراً بدار البديات والزغاوة، وكذلك الطرق التي تربط وداي بشمال إفريقيا وصولاً إلى البحر الأبيض المتوسط، مثل طريق فزان-طرابلس، وطريق الكفرة-أجدابيا-بنغازي، وطريق مرزق-غريان-طرابلس-تونس. وكانت البضائع الواردة عبر دارفور غالباً ما يكون مصدرها مصر⁴.

وكان من أهم ما يُستورد من القاهرة تلك القطع الصغيرة من القماش القطني العادي المعروفة بـ"المقطع الخام"، والتي يبلغ طول الواحدة منها نحو 14 متراً، وعرضها متراً ونصف المتر، وكانت

1 - ناخيتغال، مرجع سابق، ص 251

2 - أيوب، مرجع سابق، ص 20.

3 - الغنيمي، مرجع سابق، ص 97.

4 - ناخيتغال، مرجع سابق، ص 247.

تُستخدم كوسيلة للتبادل التجاري، بل تؤدي دوراً شبيهاً بالدور الذي تقوم به العملة النقدية. وكانت قيمة دولار ماريا تيريزا في وداي لا تقل عن قيمته في القاهرة، إذ يمكن شراء قطعتين من هذا القماش في القاهرة بدولار واحد، بينما تعادل القطعتان في وداي ثلاثة دولارات. وإلى جانب الأقمشة القطنية الأوروبية التي كانت تحل محل العملة، استُخدمت أيضاً أشرطة من القماش القطني المحلي الخشن المعروفة بـ"التكية" كوسيلة نقدية صغيرة، حيث تعادل عشر أو ست عشرة قطعة منها قطعة واحدة من المقطع الخام. ونظراً لغياب العملات المعدنية الصغيرة، لجأ السكان إلى استخدام قطع من الورق أو الخرز الزجاجي كبدايل للتعاملات اليومية.

وفي هذا السياق، يتضح التفاوت الكبير بين مستوى التنظيم الاقتصادي في وداي ونظيره في برنو، حيث اعتمدت برنو عملة موحدة رسمياً، هي دولار ماريا تيريزا، إلى جانب وحدات نقدية فرعية متمثلة في الودع (CAURIS)، والتي أدت دوراً مهماً في تسهيل عمليات الشراء، خاصة للسلع الرخيصة وبكميات صغيرة، الأمر الذي ساعد في ضبط أسعار السوق وتنظيم المعاملات التجارية¹.

كما كانت تُستورد من القاهرة، إضافة إلى الأقمشة القطنية، أنواع من الخرز الخزفي الأحمر الكبير المعروف بـ"خدور"، والذي كانت النساء يتزين به بوضعه حول الخصر تحت الملابس، إلى جانب خرز العنبر الكبير، وكميات محدودة من الحرير والمخمل والكتان، فضلاً عن الأقمشة المستخدمة في صناعة القمصان. أما السلع الفاخرة، فكانت تُستورد بكميات قليلة نظراً لضعف الإقبال عليها في الأسواق المحلية².

وكان من بين الواردات أيضاً لفائف من القماش القطني الأوروبي، يبلغ طول الواحدة منها نحو سبعة عشر متراً، وعرضها خمسة وستين سنتيمتراً، وتُعرف باسم "المقطع الخام" أو "ترومبا"، حيث كانت تُنقل من مصر عبر نهر النيل إلى دارفور ثم إلى وداي. غير أن هذا النوع من الأقمشة أصبح نادراً مع مرور الزمن، حتى كاد يختفي من الأسواق بشكل شبه كامل³.

والجدير بالذكر أن من أبرز السلع التي كانت تُستورد من مصر القطع القطنية المعروفة بـ"المقطع الخام"، والتي يبلغ طولها نحو أربعة عشر متراً، وعرضها ما بين متر إلى مترين ونصف، وكانت تُستخدم بدلاً عن النقود، إذ تؤدي دور العملة في المعاملات التجارية. وكانت قيمة دولار ماريا تيريزا في وداي أقل من قيمته في القاهرة، حيث تعادل نفس الكمية في وداي ثلاثة دولارات مقابل دولار واحد في القاهرة. كما شملت واردات القاهرة الخرز الخزفي الأحمر الكبير المعروف

1 - ناختيغال، مرجع سابق، ص 224-225.

2 - المرجع السابق، ص 225.

3 - المرجع السابق، ص 55.

ب"الخدور"، والذي كانت النساء يتزينّ به بوضعه حول الخصر تحت الملابس، إضافة إلى خرز العنبر كبير الحجم، وكميات من الحرير والمخمل الخام والمشغول، وكانت هذه البضائع تصل عبر دارفور¹.

وتنتشر الحلي الذهبية في وادي بشكل لافت مقارنة بندرتها في المناطق الغربية الأخرى، حيث كانت معظم الفتيات يمتلكن عقوداً ذهبية رفيعة بعرض إصبعين، تتدلى منها قطعة صغيرة، وكانت تُصنّع في مصر².

وكانت وادي تستورد بضائعها عبر ثلاثة مسارات رئيسة، هي: جالو، ودارفور، وبرنو، وكانت القوافل القادمة من أوجلة ودارفور تنطلق من مصر كنقطة بداية، مروراً بأوجلة، بينما كان سكان المنطقة، ولا سيما المجابرة، يتولون نقل البضائع، في حين كان تجار النيل ينقلونها عبر طريق دارفور³.

أما العملات المتداولة آنذاك، فكانت من بينها عملة "الدائق"، وهي عملة معدنية مصرية تعادل سدس الدرهم⁴.

صادرات وادي:

تتكوّن صادرات وادي من الرقيق وريش النعام والعاج، وكان الرقيق يُعد السلعة الأهم، لا سيما في عهد السلطان علي، إذ ساعدت طبيعته الحربية وسعيه إلى تعزيز القوة العسكرية بين قاداته ورعيته على الحصول على أعداد كبيرة منهم. وقد لعب المجابرة، الذين كانوا يأتون من جالو وأوجلة ثم يعودون عبر مصر، دوراً بارزاً في تصدير هذه السلع، حيث نقلوا وحدهم نحو خمسة عشر ألف عبد إلى الشمال، في حين كانت كميات ريش النعام أقل، والعاج أقل من ذلك بكثير، نظراً لصعوبات النقل.

وقد أشار غوستاف ناختيغال أيضاً إلى أن صادرات وادي كانت تشمل العبيد والعاج وريش النعام، وأن اقتصادها كان يعتمد أساساً على تجارة الرقيق، خاصة في ظل الحملات المتكررة التي كان السلطان يوجّه بها قاداته للإغارة على المناطق المجاورة وجلب الأسرى بأعداد كبيرة. وكان المجابرة هم الفئة الرئيسية التي اعتادت السفر بين وادي وطرابلس والقاهرة، حيث تولّوا تصدير ما

1 - المرجع سابق، 247-248.

2 - المرجع السابق، ص76.

3 - المرجع السابق، ص222-224.

4 - التونسي، مرجع سابق، ص264.

يقارب خمسة عشر ألف عبد إلى الشمال، غير أنهم لم يميلوا كثيراً إلى تجارة الريش، وتعاملوا بكميات محدودة من العاج بسبب صعوبات النقل¹.

وكان العاج وريش النعام يُصدّران عبر دارفور، باعتبارها الطريق الأسهل نحو الشرق، كما كانت تُنقل عبر هذا المسار سلع أخرى مثل التمر الهندي واللبان وغيرها. وتُقدّر كميات الريش التي كانت تُصدّر سنوياً إلى الشرق والشمال بنحو خمسة آلاف كيلوغرام، دون احتساب ما كان السلطان يصدّره لحسابه الخاص، إذ كان يُعد من أكبر المصدرين لهذه السلعة. ورغم وفرة الريش في وادي مقارنة بالمناطق المجاورة، فإن جودته كانت أقل نسبياً².

أما غوستاف ناختيغال، الذي أقام في وادي لمدة عامين، فقد وصل إليها برأس مال يزيد قليلاً على ألف دولار ماريا تيريزا، وتمكّن من جمع نحو ألفين وخمسمائة قطعة من العاج، وكان لا يزال يسعى للحصول على خمسمائة أخرى. وكان التجار الأجانب الذين يرغبون في الاتجار بالعاج يبيعون بضائعهم بالدين لمن يتقون بهم من أبناء البلاد، الذين يتولّون نقلها إلى مناطق إنتاج العاج مثل بحر السلامة ودار رونقة ودار كوتي. وخلال إقامته، أشار إلى أن قيمة مئة قطعة من العاج في وادي لم تكن تتجاوز ما يعادل 150 دولاراً في مصر، في حين كان يمكن شراؤها في دار كوتي بما يعادل عشرة دولارات من الخرز والأشرطة القطنية³.

كانت الحركة التجارية نحو الشمال محدودة نسبياً، إذ لم تتجاوز قافلة واحدة أو قافلتين سنوياً، في حين ظلت التجارة نشطة ومستقرة بين دارفور ومصر. ويُعزى ذلك إلى الصعوبات الكبيرة التي تعترض الطريق الصحراوي المؤدي إلى بنغازي، فرغم أن الرحلة لا تستغرق أكثر من خمسين يوماً، إلا أن ندرة المياه تمثل عائقاً خطيراً أمام القوافل. وعلى غرار ما كان عليه الحال في مملكة برنو، لم يكن سلطان وادي يعزف عن ممارسة التجارة لتعزيز موارده، بل كان يرسل كل ثلاث سنوات قافلة خاصة به إلى القاهرة عبر الصحراء، مروراً بالكفرة وجالو. ونظراً لكون دار كوتي تُعد من أهم منابع العاج، وقد خُصصت للسلطان لاستثمارها، فقد أصبح العاج أبرز صادراته، إلى جانب كميات محدودة من ريش النعام، حيث كان بإمكانه تصدير نحو ثلاثمائة قطعة من العاج كل ثلاث سنوات. ورغم تخوّف التجار من صعوبات النقل الصحراوي، فإن السلطان لم يكن يواجه هذه المخاوف، لاعتماده على عرب المحاميد وغيرهم من سكان المناطق الحدودية الشمالية الذين كانوا يملكون أعداداً كافية من الإبل، ويلتزمون بتوفيرها لمثل هذه الرحلات. كما كان بعض الأعيان والموظفين يشاركون في هذه القوافل، ويتكفلون بتأمين مؤونة

1 - ناختيغال، مرجع سابق، ص 148.

2 - المرجع السابق، ص 149.

3 - المرجع السابق، ص 227-228.

سفرهم على نفقتهم الخاصة، مما مكّن السلطان من ممارسة نشاطه التجاري بتكاليف محدودة. وعلى الرغم من أن وداي لم تبلغ مستوى الثراء الذي وصلت إليه برنو أو دارفور، فإن السلطان كان يعتمد في تلبية نفقاته الخاصة على عائدات هذه التجارة، التي كانت تدرّ عليه ما يقارب خمسين ألف دولار ماريا تيريزا كل ثلاث سنوات، بعد خصم المصروفات¹.

أما على صعيد العلاقات الاقتصادية الأوسع، فقد ارتبطت مصر بعلاقات تجارية وثيقة مع غرب ووسط إفريقيا، وبرزت هذه الصلات بشكل أوضح خلال العصر المملوكي، الذي شهد تطوراً ملحوظاً في التبادل التجاري بين مصر وتلك الأقاليم. فقد كانت القوافل تنطلق من مصر إلى غرب إفريقيا، في حين شكّلت منتجات إفريقيا الوسطى والسودان الغربي عنصراً أساسياً في التجارة التي قامت عليها قوة الدولة المملوكية، حيث كانت تُعاد تصديرها إلى التجار الأوروبيين، ولا سيما تجار الجنوب والبنادقة، بأسعار مرتفعة. وكان العاج من أبرز صادرات تلك المناطق إلى مصر، كما نشط التجار المصريون في الوصول إلى بلاد كانم والتكرور، حاملين بضائعهم ومساهمين في تنشيط الحركة التجارية بين الجانبين².

لا شك أن التبادل التجاري يُعد من أبرز الوسائل التي أسهمت في انتشار الدعوة الإسلامية عبر العالم، ولا سيما في إفريقيا جنوب الصحراء، حيث لعب التجار المسلمون دوراً محورياً في نقل الإسلام إلى تلك الأقاليم. وليس من المبالغة القول إن الإسلام انتشر في العديد من المناطق التي وصل إليها هؤلاء التجار، إذ كان التاجر المسلم يجمع بين نشاطه الاقتصادي ووظيفته الدعوية، سواء من خلال الدعوة المباشرة أو عبر تأثيره غير المباشر الناتج عن الاحتكاك والتفاعل مع المجتمعات المحلية. وبوجه عام، فإن التاجر المسلم، سواء كان عربياً أم أعجمياً، كان يؤدي دوراً مزدوجاً يتمثل في نشر قيم الإسلام بالتوازي مع ترويج سلعته، كما أسهمت معاملاته التجارية في توثيق علاقاته الاجتماعية، مما مهّد الطريق لتقبّل دعوته وانتشار الإسلام بين الشعوب التي تعامل معها³.

ثالثاً: العلاقات العلمية بين مملكة وداي ومصر :

تعود العلاقات بين أرض الكنانة وبلاد توماي إلى عصور بعيدة، حيث نشأت عبر قنوات متعددة، في مقدمتها رجال الدين الإسلامي والتجار، ثم تعمقت بصورة أكبر من خلال حركة طلاب العلم. ويُعد رواق صليح في الأزهر الشريف، الذي كان يُمثل مقر إقامة الطلاب التشاديين، دليلاً

1 - ناختيغال، مرجع سابق، ص 228-229

2 - محمود، حسن أحمد. (1998). الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا. القاهرة: دار الفكر العربي. ص 159.

3 - حسن، مؤمن بشير. (1999). انتشار الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء في العصور الوسطى (بحث تكميلي لنيل دبلوم الدراسات المعمّقة، جامعة الملك فيصل، أنجينا). ص 21-22.

بارزاً على عمق هذه الروابط، إذ يرجع تأسيسه إلى عهد السلطان صليح، أحد سلاطين مملكة وداي التشادية¹.

وقد اضطلعت مملكة وداي بدور مهم في نشر الإسلام وتعزيز اللغة العربية في المنطقة، مستفيدة من موقعها الجغرافي الذي يربطها بالسودان ومصر وليبيا، كما أقامت علاقات وثيقة مع الدولة العثمانية (الباب العالي في إسطنبول) عبر القاهرة. ويُقارب هذا الدور ما قامت به مملكة كانم في تشاد، في حين لم تحقق مملكة باقرمي التأثير ذاته، ويُعزى ذلك في جانب منه إلى موقعها الجغرافي الأقل اتصالاً بمراكز التأثير الحضاري والتجاري².

وقد اضطلعت مملكة وداي بدور بارز في نشر الإسلام وتعزيز اللغة العربية والثقافة الإسلامية في دار وداي على وجه الخصوص، وفي تشاد بوجه عام. وقد تجلّى هذا التأثير في اعتماد اللغة العربية في الدواوين الرسمية، وتطبيق الشريعة الإسلامية في المحاكم المحلية، فضلاً عن إقامة علاقات وثيقة مع الباب العالي في الدولة العثمانية عبر القاهرة، مما أسهم في ترسيخ الارتباط الحضاري والديني بين المنطقة ومراكز العالم الإسلامي³.

لا شك أن مصر، التي كان سلاطين الممالك التشادية ينظرون إليها بوصفها "أم الدنيا"، وأن الأزهر الشريف قد أدّى دوراً محورياً في النهوض بأبناء المسلمين عامة، وأبناء تشاد خاصة، من خلال ما قدّمه من علوم شرعية ومعارف إنسانية وخبرات علمية أسهمت في صقل مواهب طلاب ممالك كانم-برنو ووداي وباقرمي. فقد تشرب هؤلاء الطلاب الفقه الإسلامي واللغة العربية، وتخرّج منهم علماء ومصلحون عادوا إلى بلادهم لنشر ما اكتسبوه من علم، مستندين إلى ما تلقّوه في أروقة الأزهر، مثل رواق كانم ورواق صليح، وكذلك مدرسة بن رشيق التي أنشأها سلاطين تلك الممالك، وأنفقوا عليها لتكون مأوى للحجاج وطلاب العلم من وسط وغرب إفريقيا، ونموذجاً يحتذى به لخريجي الأزهر. ومن أبرز هؤلاء الشيخ محمد عليش عووضة، الذي أسس معهداً تعليمياً على

¹ - آدم، جبريل محمد. (2014). العلاقات التشادية المصرية: الحاضر والمستقبل. الآفاق الجديدة، العدد 74، ص 10.

² - جاكو، محمد شريف. (1998). العلاقات السياسية بين تشاد وليبيا: قضية أوزو (1960-1990م). القاهرة: مكتبة مدبولي. ص 28.

³ - طاهر، مرجع سابق، ص 18.

غرار الأزهر من حيث المنهج والإدارة عام 1946م، غير أن السلطات الاستعمارية عارضت هذا المشروع، وقامت بإغلاق المعهد ونفيه إلى السودان¹.

يُعد الوقف الإسلامي من أبرز المظاهر الحضارية والإنسانية التي تميّزت بها الحضارة الإسلامية، ومن أهم الإنجازات التي قدّمها المسلمون للبشرية، إذ مثّل نظاماً متكاملًا للتكافل الاجتماعي ودعم التعليم ونشر المعرفة، مما يعكس قيادة الأمة الإسلامية في ترسيخ هذا التقليد الخيري².

والجدير بالذكر أن الأوقاف التي أنشئت في الحواضر الإسلامية في البلاد العربية كان لها دور كبير في نشر الإسلام في إفريقيا، كما أسهمت في ترسيخه في مختلف أرجاء العالم الإسلامي، ولا سيما الأوقاف القائمة في مصر وبلاد الحرمين وشمال إفريقيا، مثل أوقاف الحرمين الشريفين، والأزهر، والقيروان، وغيرها. وقد استفاد الأفارقة من هذه الأوقاف استفادة عظيمة، كان لها أثر بالغ في انتشار الإسلام في مجتمعاتهم، وفي ترسيخ القيم والمبادئ الإسلامية.

ومن هذا المنطلق، برز في تاريخ هذه الممالك عدد من الملوك والسلطين الذين أولوا عناية خاصة بتأسيس الأوقاف ورعايتها، وتوظيفها في خدمة الدعوة الإسلامية والنهوض بمجتمعاتهم، ومن أبرزهم السلطان عبد الكريم بن جامع، مؤسس مملكة وداي (1615-1655م)، والسلطان عبد الكريم صابون، سلطان وداي (1805-1813م).

كما تميز العمل الوقفي في هذه المرحلة بتنوع مؤسساته وتعدد مجالاته، بما يتناسب مع الحاجات الروحية والاجتماعية والحضارية للسكان. وقد أسهمت بساطة الحياة في هذه الممالك، وسهولة سبل العيش، وغياب التعقيدات المادية والتكاليف الاقتصادية المرتفعة، في توجيه الاهتمام نحو أنماط محددة من المؤسسات الوقفية، ركزت أساساً على مجالي العبادة والتعليم، إلى جانب تلبية بعض الاحتياجات الاجتماعية الأساسية. ومن أبرز هذه المؤسسات: المساجد، والآبار، ومساكن الطلاب، إضافة إلى الإقطاعات التي كان يمنحها الملوك للعلماء³.

ومن أبرز الأوقاف التي أنشأها ملوك مملكة وداي في حواضر العالم الإسلامي ما يأتي:

¹ بشير، بشير عربي. (2003). علاقة الممالك التشادية بمراكز الحضارة الإسلامية في العالم الإسلامي. ندوة اللغة العربية في تشاد: الواقع والمستقبل، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، دار الكتب الوطنية، بنغازي. ص 325.

² فضلة، حسب الله مهدي. (2006). إسهامات الوقف الإسلامي في أسلمة الممالك التشادية القديمة وتواصلها مع العالم الإسلامي. المؤتمر الدولي: الإسلام في إفريقيا، جامعة إفريقيا العالمية (الكتاب السابع: أوراق المؤتمر). ص 399.

³ - المرجع السابق، ص 403

- مدرسة ابن رشيق في مصر، والتي سُمّيت نسبة إلى الشيخ علم الدين محمد بن رشيق، شيخ المالكية في مصر، نظراً لإشرافه على بنائها وتوليّه التدريس فيها لاحقاً¹.
- رواق صليح في الأزهر الشريف: يُنسب هذا الرواق إلى السلطان صليح، أحد سلاطين مملكة وداي الإسلامية (1747-1795م)، وقد اضطلع بدور مهم في استقبال الطلاب الوافدين من مملكة وداي، وتأهيلهم علمياً ودينياً، بما مكّنهم من أداء دور فاعل كدعاة للإسلام وحملة للعلم والمعرفة في مجتمعاتهم².

لاحظ الشيخ محمد بن عمر التونسي، في رحلته إلى دار وداي، العناية الكبيرة التي يوليها الناس عامة، والسلاطين خاصة، للعلم والعلماء القادمين من العالم العربي؛ فكل من يحمل شيئاً متميزاً من العلم يُجَلّ ويُكَبَّر في أعين الأفارقة، وإذا كان من العرب رُفِعَت درجته إلى شريف، وتسمح له هذه الدرجة بتولي المناصب الوزارية في معظم الممالك الإسلامية التي كتب عنها التونسي في رحلته، خاصة مملكة دارفور ومملكة وداي.

فالسُلطان صابون، سلطان دار وداي، يصفه التونسي بأنه وفد إليه العلماء والشعراء من الأمصار، ومن مظاهر اعتناء هذا السلطان بالعلماء أنه يقدّمهم على غيرهم في الزكاة، ويغمرهم بأفضاله، ويتفقد أحوالهم، وينتقم ممن نال منهم، ويغضّ الطرف عن مساوئهم، ويهتم بقضاء حوائجهم إذا رُفِعَت إليه³.

وقد أثرت مصر في السودان في ميدان المذاهب والفقهاء؛ فمثلاً يُعدّ محمد بن قدم الكيمياء المصري هو الذي أدخل المذهب الشافعي. وحتى مذهب مالك نفسه، ورغم أنه دخل السودان من الغرب إلى دارفور ومنها إلى بلاد الفونج، فإن دراسة هذا المذهب ظلت مزدهرة بالأزهر إلى جانب المذاهب الأخرى، وقد انتقلت إلى السودان على أيدي رجال الأزهر⁴.

ويلاحظ أن الأثر المصري تميّز بالطابع العلمي؛ لأن الذين تأثروا بالثقافة المصرية في ذلك العهد اتجهوا إلى تعليم الناس الفقه والتوحيد واللغة وغيرها من العلوم⁵.

ونلاحظ أن السلطان كان حريصاً على مدّ الصلات مع الدول الإسلامية، خاصة أهل مصر؛ إذ لا يمكن الحديث عن العلاقات مع مصر إلا بذكر دور الأزهر الشريف ومكانته في

1 - المرجع السابق، ص404.

2 - المرجع السابق، ص 405.

3 - أيوب، مرجع سابق، ص192.

4 - محمود، مرجع سابق، ص150.

5 - المرجع السابق، ص151.

قلوب المسلمين. وقد جاءت وفود طلب العلم من السودان الأوسط والغربي، وقد استفادوا استفادة كاملة من تلقي العلوم الإسلامية على أيدي جهابذة العلم في ذلك العصر، وكانوا يستمعون إلى الشيوخ الأجلاء من علماء الشريعة والدين، وقد ظلوا على هذا النهج.

فإن مصر وإسهاماتها في حضارة وثقافة وتحديث ورقي السلطنات السودانية الإسلامية لا يمكن إنكارها أو جحدها، خاصة أن علاقات مصر بهذه السلطنات علاقات أزلية ومستمرة، بل هي علاقات طبيعية بحكم الجوار وشرائع التلاحق الثقافي¹.

وتذكر بعض العلماء الذين درسوا في مصر والتحقوا بالأزهر الشريف، ثم عادوا كدعاة وأسهموا في نشر الإسلام والتعليم في سلطنة وداي، نذكر منهم:

1- الإمام محمد قرفة: الإمام محمد قُرْفَة من العلماء المشهورين في زمانه، وُلِد في مدينة وارا في العهد القديم، عاصمة السلطنة، ونشأ فيها، وتعلّم القرآن عند والده، ثم انتقل إلى دراسة العلوم الشرعية وأخذ العلم عن علماء البلاد. ولما أراد التزوّد من العلم هاجر إلى مصر والتحق بالأزهر الشريف، فدرس فيه وتخرّج منه.

وكانت مصر معروفة منذ العهد القديم بأنها ملجأ لطلبة العلم، وقبله للشعوب الإسلامية، يفدون إليها من كل فج عميق لتلقي العلوم الشرعية، وقد أنعم الله على الشعوب بتلك المعارف العظيمة².

- الشيخ عبد الحق بن محمد السنوسي: أصله عربي من حمير باليمن، وكان من العلماء الأجلاء ومن خريجي الأزهر. وُلِد في الترجم، وهي قرية تابعة لمدينة أبشة، سنة 1852م، وقرأ القرآن عند والده محمد، ثم على يد الإمام الجزولي، وذلك في مدينة أبشة، ثم سافر إلى بلاد الحجاز عن طريق ليبيا لأداء فريضة الحج، ومرّ بطريق مصر وسوريا، وبعد أداء الفريضة عاد السنوسي إلى مصر والتحق بالأزهر الشريف.

رابعاً: العلاقات الاجتماعية بين مملكة وداي ومصر :

بدأ الأثر الإسلامي يظهر في مجتمع وداي منذ دخول الإسلام وانتشاره، ونتيجة لذلك نبذ الودايون العديد من العادات والتقاليد الاجتماعية والطقوس القديمة التي تتعارض مع الإسلام، وحلّت محلّها العادات والتقاليد الاجتماعية الإسلامية، إذ ظلّ أثر الإسلام عميقاً في نفوسهم³.

1 - الغنيمي، مرجع سابق، ص 97.

2 - عبد الواحد (دايبو)، محمد يعقوب. (1976). نبذة من تاريخ علماء تشاد (بحث غير منشور). ص 21.

3 - أنغاري، محمد شرومة. (2006). الدعوة الإسلامية ودورها في توثيق العلاقات بين مملكتي دارفور ووداي الإسلاميتين (1600-1900م) (رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية). ص 76.

تتألف الحياة الاجتماعية في سلطنة وداي من مظاهر وأنماط متنوعة ومتشعبة، وذلك لتعدد الأجناس والأعراف، مما نتج عنه اختلافات عديدة في أنماط الحياة وطرق العيش. وقد كانت هذه القبائل قبل دخول الإسلام تعيش في حالة من الجاهلية، فمنهم الإحيائيون وغيرهم¹.

وتُعدّ أسرة التونسي خير شاهد على أثر عامل حركة الحج في تقوية العلاقات العربية الإفريقية؛ فقد رحل جدّه سليمان التونسي في رحلة الحج، ومزّ بالأزهر الشريف، وتلقى فيه ما أمكنه من العلوم، ثم لما وصل إلى الأراضي المقدسة وأتمّ حجه، أقام في الحجاز، وتكسب عيشه من مهنة النسخ التي كان يجيدها، فكان ينسخ الكتب النفيسة لمن يطلبها مقابل أجره. ثم تعرّف في المدينة المنورة على عدد من الأفارقة، ولما عرفوا تمكنه من مهنة النسخ وبعض علوم الأزهر والزيتونة، رغبوه في السفر معهم إلى إفريقيا، وبالتحديد إلى مدينة سنار (السودان)، فوافق بعد أن استوثق منهم ومن طبيعة المنطقة وأهلها وحسن استقبالهم للحجاج والعلماء من البلاد العربية. ولما وصل الجد سليمان إلى سنار، استقبله أهلها بالترحاب، وخصّصوا له أرضاً ومنزلاً، وأجروا عليه معاشاً، وزوّجوه، فأنجب بنتاً وولداً؛ أما ولده فاسمه أحمد الزروق، بينما نشأ الابن الآخر عمر، والد محمد التونسي، في تونس من أم تونسية تزوّجها سليمان قبل رحلته إلى الحج وسفره إلى إفريقيا².

ولما كبر عمر في تونس، هاجر هو الآخر في رحلة إلى الحج ماراً بالقاهرة - كما فعل أبوه - فتعلم في الأزهر، وبعد الحج جلس في الأزهر ليتزود من علومه، وفي ظروف مالية صعبة تذكر الاستعانة بوالده، خاصة بعد أن علم من قوافل التجار وبعض طلبة العلم في الأزهر عن أخبار والده الكثير، فأخذ العزم وسافر مع القوافل المتجهة نحو دارفور، فوصل الشيخ عمر والد محمد التونسي إلى دارفور عام 1803م، ووجد والده في حاشية سلطان دارفور³.

ورحلة محمد بن عمر التونسي إلى وداي توضح أن معظم المعلومات التي تصل إلى العالم العربي والإسلامي من وسط إفريقيا مصدرها الأساس هو الحجيج الإفريقي، وتعطي هذه المعلومات في أماكن مختلفة، مثل مناطق الاستراحة العلمية في المدينة المنورة ومكة المكرمة والأزهر الشريف، ففي هذه الأماكن يجلس الحجيج الإفريقي للزود بالعلم فترات زمنية مختلفة، ولأخذ قسط من الراحة، وهنا يتم تبادل المعلومات عن المناطق الإفريقية المختلفة، ويكتسب الحجاج الأفارقة

1 - الماحي، عبد الرحمن عمر. (1982). تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال (1894-1960م). القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب. ص 12.

2 - أيوب، مرجع سابق، ص 189.

3 - المرجع السابق، ص 189.

أيضاً المعلومات والخبرات من المنطقة العربية، في محاولة منهم لنقل هذه الخبرات والمعلومات إلى بلدانهم ومناطقهم التي قدموا منها¹.

ويقول ناختيغال في شأنه: التقيت بالحاج أحمد لتحديد موعد مغادرتنا، ولمست حرصه مثلي على الذهاب إلى مصر. إلا أنه طلب مني، على نحو غامض، ألا أناقش هذا الأمر مع السلطان، حيث إن هنالك شائعات منتشرة، ترتب عليها إغلاق الطريق إلى الشرق رسمياً².

وقد ترتب على ذلك تأخير قافلة الحجاج بقيادة شيخ منور الشنقيطي داخل حدود البلاد، والتي كانت قد غادرت أبشي قبل فترة وجيزة، ولم يكن في وسع الحاج أحمد الإفصاح عن مزيد من التفاصيل.

الخاتمة:

تناولت هذه الدراسة التطور التاريخي للعلاقات التشادية المصرية خلال الفترة ما بين 1020-1430 هـ الموافق 1600-2010م، وهي فترة زمنية طويلة نسبياً شهدت تحولات مهمة في مسار العلاقات بين البلدين. وقد تبين من خلال الدراسة أن هذه العلاقات لم تكن علاقات طارئة، بل تمتد جذورها إلى فترات مبكرة ارتبطت بانتشار الإسلام في إفريقيا، ثم تطورت وتوسعت عبر الممالك الإسلامية، وصولاً إلى المرحلة الحديثة.

كما أظهرت الدراسة أن تشاد شهدت في السنوات الأخيرة، رغم آثار الماضي، تحسناً نسبياً في بعض المؤشرات الاقتصادية، وهو ما انعكس في مجالات متعددة مثل الثروة الحيوانية والثروة المعدنية، إضافة إلى تطور قطاع النقل من خلال شركة مصر للطيران، مما أسهم في تعزيز التواصل بين البلدين.

وأبرزت الدراسة كذلك الدور المحوري للأزهر الشريف في دعم التعليم في تشاد، من خلال فتح المدارس وإيفاد المعلمين، مما يجعل مصر من أبرز الدول العربية الداعمة للقطاع التعليمي في تشاد، وأكبر جهة بعثات تعليمية على المستوى العالمي في هذا المجال.

توصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

1- تعود جذور العلاقات التشادية المصرية إلى فترات مبكرة مع انتشار الدعوة الإسلامية في إفريقيا، وقد ازدهرت بشكل ملحوظ خلال فترة الممالك الإسلامية.

¹- المرجع السابق، ص 190.

²- المرجع السابق، ص 74.

- 2- سبقت هذه العلاقات دخول الإسلام، حيث كانت هناك علاقات تجارية وهجرات وتواصل بين مصر وتشاد منذ عصور قديمة.
 - 3- ارتبطت الممالك الإسلامية في تشاد، مثل كانم-برنو ووداي وباقرمي، بعلاقات قوية مع مصر في الجوانب السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية.
 - 4- أدى الاستعمار الفرنسي إلى إضعاف وانقطاع الصلات الرسمية بين الممالك الإسلامية التشادية ومصر، غير أن التواصل استمر بصورة فردية، خاصة عبر طلاب العلم وطرق الحج.
 - 5- ساندت تشاد في عهد الرئيس تمبلياي القضية الفلسطينية باعتبارها قضية عربية وإسلامية مركزية، حيث كانت مصر في طليعة الداعمين لها.
 - 6- شهدت تشاد في عهد الرئيس إدريس ديبي إتنو حالة من الاستقرار النسبي، انعكست إيجاباً على علاقاتها الخارجية، ولا سيما مع الدول العربية وفي مقدمتها مصر.
- أوصت الدراسة بضرورة الاهتمام بالتوصيات التي تقدم بها الباحث والتي استقاها من مادة البحث التي تناولت العلاقة بين تشاد ومصر في ابعادها المختلفة والتي يمكن إجمالها في الآتي:
- أ. في مجالات العلاقات الثقافية مثل التعليم:
 1. كما أن هناك فرصاً لفتح أفرع للجامعات المصرية في تشاد وهذه الخطوة سيكون لها تأثير على التعليم في دول إفريقيا جنوب الصحراء.
 2. إنشاء مراكز ثقافية وإعلامية في كل من تشاد ومصر لتساهم في بلورة الوعي الجماهيري لدى الشعبين، وتبادل البعثات الثقافية والمهرجانات والأساتذة وتبادل الخبرات العلمية، بين الدولتين للنهوض بالتنمية الشاملة.
 - ب. في مجالات العلاقات الاقتصادية:
 3. توصي الدراسة بضرورة تقوية التعاون الاقتصادي بين البلدين وتحقيق الاستفادة من العلاقات الاقتصادية خاصة أن تشاد تشكل بوابة هامة للغاية لفتح أسواق بقية دول وسط إفريقيا أمام مصر.
 4. العمل على ربط طريق بري يربط بين مصر وتشاد سواء بالجانب الحدودي السوداني أو الليبي.
 - ت. في مجالات العلاقات السياسية:
 5. انضمام تشاد إلى جامعة الدول العربية سيكون مهماً من أجل الحفاظ على الأمن القومي سواء المصري أو العربي.

6. توسع شبكة البعثات الدبلوماسية في الجانبين، وإبعاد التعاون المشترك عن الظروف الطارئة، وتبادل الزيارات خاصة على مستوى الرؤساء، وذلك لما لها من دور في تذليل الصعوبات، وإيجاد الوسائل الكفيلة لتنشيط العمل الدبلوماسي المشترك وإشراك المنظمات الشعبية والمهنية في تعميق العلاقات بين الدولتين وتوجيه الدعوات المتبادلة للزيارات لرؤساء وأعضاء المنظمات الشعبية بالبلدين.

قائمة المصادر والمراجع:

- أحمد سمي جدو محمد النور. (1997). تاريخ العلاقات السودانية التشادية (1820-1956م) (بحث مقدم لنيل درجة ماجستير الآداب في التاريخ، كلية الدراسات العليا، كلية التربية، شعبة التاريخ، جامعة الخرطوم، الخرطوم).
- أنغاري، محمد شرومة. (2006). الدعوة الإسلامية ودورها في توثيق العلاقات بين مملكتي دارفور ووداي الإسلاميتين (1600-1900م) (رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية).
- أيوب، محمد صالح. (1994). الدور الاجتماعي والسياسي للشيخ عبد الحق السنوسي الترجمي في دار وداي (1853-1917م) (رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة أم درمان الإسلامية).
- أيوب، محمد صالح. (د.ت.). وسط إفريقيا بين الثقافة الإسلامية والغربية (تشاد نموذجًا). القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية المصرية.
- بشير عربي بشير. (2003). علاقة الممالك التشادية بمراكز الحضارة الإسلامية في العالم الإسلامي. ندوة اللغة العربية في تشاد: الواقع والمستقبل. منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، دار الكتب الوطنية، بنغازي.
- التونسي، محمد بن عمر. (2001). رحلة إلى وداي (تحقيق: عبد الباقي محمد). الخرطوم: شركة مناكب للنشر.
- جاكو، محمد شريف. (1998). العلاقات السياسية بين تشاد وليبيا: قضية أوزو (1960-1990م). القاهرة: مكتبة مدبولي.
- جبريل محمد آدم. (2014). العلاقات التشادية المصرية: الحاضر والمستقبل. الآفاق الجديدة، العدد 74، أنجمينا.
- حسب الله مهدي فضلة. (2006). إسهامات الوقف الإسلامي في أسلمة الممالك التشادية القديمة وتواصلها مع العالم الإسلامي. المؤتمر الدولي: الإسلام في إفريقيا، جامعة إفريقيا العالمية.

- عبد الواحد (دابيو)، محمد يعقوب. (1976). نبذة من تاريخ علماء تشاد (بحث غير منشور).
- العوام، الطيب علي محمد. (2001). العلاقات بين العلماء والسلطين في مملكة وداي (بحث دبلوم الدراسات المعمقة في التاريخ والحضارة، جامعة الملك فيصل، أنجمينا).
- الغنيمي، عبد الفتاح مقلد. (1996). الإسلام وحضارته في وسط إفريقيا (سلطنة البولالا). القاهرة: مكتبة المدبولي.
- الماحي، عبد الرحمن عمر. (1982). تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال (1894-1960م). القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- محمود، حسن أحمد. (1998). الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا. القاهرة: دار الفكر العربي.
- مؤمن بشير حسن. (1999). انتشار الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء في العصور الوسطى (بحث تكميلي لنيل دبلوم الدراسات المعمقة، كلية الدراسات العليا، جامعة الملك فيصل، أنجمينا).
- ناختيغال، غوستاف. (2005). رحلة إلى وداي ودارفور (تعريب: سيد علي محمد ديدان). المكتبة العسكرية، رقم الإيداع 152.
- ناختيغال، غوستاف. (2005). رحلة إلى وداي ودارفور (تعريب: سيد علي محمد ديدان). المكتبة العسكرية، رقم الإيداع 152.
- ناختيغال، غوستاف. (2005). مملكة وداي (ترجمة: نادية كركي وهنري كودري). مركز المنى، أنجمينا.
- Ahmed, Ahmed (2025). Political and Diplomatic Relations Between Chad and the Central African Republic During the Period 1990–2020: A Documentary Study. Ibn Khaldoun Journal for Studies and Researches, 5(9). <https://doi.org/10.56989/benkj.v5i9.1589>
- Oumar, Adam & Aldjazouli, Oumar (2024). Contemporary Partisan Competition and Challenges to National Unity for Political Stability in Chad. Ibn Khaldoun Journal for Studies and Researches, 4(7). <https://doi.org/10.56989/benkj.v4i7.1094>
- Oumar, Adam & Aldjazouli, Oumar (2024). The Impact of the Civil War on Political Stability and Development in Chad. (2024). Ibn Khaldoun Journal for Studies and Researches, 4(8). <https://doi.org/10.56989/benkj.v4i8.1156>